ولم تكن فلسطين والبلدان العربية الاخرى بعيدة عن تاثير تلك الاحداث التاريخية الكبرى. فالجماهير الشعبية العربية، وبخاصة بين صفوف الطبقة العاملة وجموع المثقفين الديمقراطيين، كانت تفرق بين أهداف الدول الامبريالية واهداف الاتحاد السوفياتي من وراء مجابهة المانيا النازية. وقد ترك صمود الاتحاد السوفياتي، وبطولات شعوبه وتضحياتها الكبيرة، خلال المعارك، أثرا كبيرا على الجماهير الشعبية العربية وقواها الوطنية والتقدمية(٢).

وجنبا الى جنب مع التطورات التي طرأت على الوضع الدولي، كانت تجري في فلسطين تطورات اجتماعية واقتصادية هامة، أدت الى حدوث تغييرات جذرية على بنية المجتمع العربي الفلسطيني. فقد أدت الحرب الى تحويل فلسطين الى محتشد للجيوش البريطانية والى قاعدة لتموينها في المنطقة؛ مما دفع ببريطانيا الى إقامة العديد من المعسكرات والمشاغل والورش، كما ان اختلال طرق المواصلات البحرية وانقطاعها اضطر السلطات البريطانية الى السماح بقيام العديد من الصناعات المحلية، مما أدّى الى جذب الاف الفلاحين العرب إلى المدن للعمل في المعسكرات والمشاغل والمصانع الجديدة، وإلى تزايد محسوس في حجم الطبقة العاملة العربية، والى اختفاء ظاهرة البطالة بين صفوف العمال العرب. ويتبين من الاحصاءات الرسمية، ان عدد العمال العرب في الصناعة قد ارتفع بين ١٩٣٩ و ١٩٤٢، من ٣٧,٢٠٠ الى ٥٢,٠٠٠، وفي البناء من ٢٥,٠٠٠ الى ٦١,٥٠٠، وفي دائرة الحرب من ١,٧٠٠ الى ٢٤,٦٠٠(٣).

وقد نشأ عن ذلك كله تصاعد في نضالات الطبقة العاملة العربية الاقتصادية والسياسية، كما نمت أيضا القوى الديمقراطية، واخذ النضال في سبيل الحريات الديمقراطية يتسع شيئا فشيئا، مما اضطر سلطات الانتداب البريطاني الى تخفيف قبضتها القمعية والى اطلاق بعض الحريات الديمقراطية. وفي تلك الفترة، بدأت تصل الى البلاد أدبيات الاحزاب الشيوعية العربية والاوروبية، وأخذت بعض المكتبات توزعها بصورة علنية. كما نشطت حركة النوادي وحركات المثقفين الديمقراطيين.

ينظر عدد من الباحثين، الذين تصدوا لدراسة تاريخ عصبة التحرر الوطني في فلسطين، الى العملية التاريخية التي أدت الى نشوء العصبة من وجهة نظر وحيدة الجانب؛ وذلك حين يؤكدون بأن العصبة قد ظهرت كحزب شيوعي عربي مستقل على أثر الانقسام القومي الذي وقع، في ربيع العام ١٩٤٣، في صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني، والذي أدّى الى خروج الاعضاء العرب من صفوف الحزب، وبقائه مقتصرا على الشيوعيين اليهود.

إننا نعتقد، من جهتنا، بأنه من الضروري النظر الى العملية التاريخية التي ادت الى نشوء العصبة من جميع جوانبها، والانطلاق من شمولية هذه العملية التي جرت في ظل ظروف تاريخية معقدة. ومن هنا، فإننا نفترض بأن الانقسام القومي الذي وقع في صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني قد ساعد على نشوء العصبة، إلا أنه لم يلعب الدور الرئيسي في قيامها. وحسب اعتقادنا،فإن عصبة التحرر الوطني في فلسطين لم تنشأ، في